الـــقيمة التعليمية والتربوية للدرس الفلسفي
قراءة في مؤلف " خلاصة المـــيتافـــيـــزياء "
لصاحبه: الأستاذ الدكتور"محمود يعقوبي"

د – فـــيـــصـــل لـــكـــحـــل

د– زهـــور حمـــر الـــعـــيـــن

جامعة ابن خلدون تيارت

lakehal.faissal@gmail.com

ملخص:

إن الكلام عن إسهامات الدكتور محمود يعقوبي في مجال الدراسات الفلسفية يقود إلى الحديث عن جملة مؤلفاته التي أثرى بها المكتبة الجامعية، ابتداء من إسهاماته الأولى كمفتش عام للفلسفة في الجزائر منذ بداية السبعينيات، وكأستاذ بمعهد الفلسفة والمدرسة العليا للأساتذة، والتي تمثلت في مؤلفات "الوجيز في الفلسفة "و"النصوص الفلسفية الميسرة"، و"دروس المنطق الصوري" و"أصول الخطاب الفلسفي"، "ابن تيمية والمنطق الأرسطي"، ونظرا لتعدد ميادين اهتماماته ودراساته من المنطق إلى فلسفة المعرفة، تاريخ العلم والابستيمولوجيا. فقد تركز اهتمامنا بالتحليل على أهم مؤلف بيداغوجي يجمع فيه المؤلف كل خبرته البيداغوجية والعلمية التي يمكنها أن تحتوي كل ما سبقها وهو "خلاصة الميتافيزياء".

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة؛ المنطق؛ الميتافيزيقا؛ العلم؛ الطبيعية؛ المعرفة.

Résumé:

En parlant de la contribution du Dr. Mahmoud yagobi dans le domaine des études philosophiques conduisant à parler entre ses œuvres Qui l'a enrichi la bibliothèque universitaire, à partir du premier inspecteur de la contribution philosophie générale en Algérie depuis le début des années soixante-dix, et professeur à l'Institut de philosophie Et en tant que professeur à l'écoles supérieurs, ce qui était les livres "Le bref en philosophie" et "textes philosophiques doux" et "leçons de logique formelle" et "origines du discours philosophique". "Ibn Taymiyya et la logique aristotélicienne", et compte tenu de la multiplicité des domaines d'intérêt et des études de la logique. la philosophie de la connaissance, l'histoire de la science et de

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

l'épistémologie. Nous nous sommes concentrés sur l'analyse de l'essai pédagogique le plus important dans lequel l'auteur combine toute son expérience pédagogique et scientifique, qui peut contenir tout ce qui précède, la «synthèse de la métaphysique».

les mots clés : Philosophie, logique, métaphysique, science, Nature, savoir.

مقـــدمـــة:

نظرا لكثرة وتعدد مؤلفات الدكتور "محمود يعقوبي" سواء البيداغوجية منها، أو الكتب المترجمة أو ما اختص منها بفلسفة المنطق، فإننا أثرنا اختيار أحد أهم المؤلفات التي تحتوي هذه المباحث الفلسفية على اختلافها وتنوعها، ونقصد بالذكر سلسلة مؤلف "خلاصة الميتافيزياء" الذي يحتوي على أربعة أجزاء وهي على التوالي "فلسفة المعرفة"، "فلسفة الطبيعة" "فلسفة الوجود"، "فلسفة الألوهية"، وقد تم اختيار هذا المؤلف للتحليل والتقييم لسببين اثنين: الأول هو أن هذه الدراسة تمثل حوصلة بيداغوجية لتاريخ الميتافيزياء منذ المرحلة اليونانية إلى غاية المرحلة المعاصرة من مراحل تطور الفكر الفلسفي، أما السبب الثاني فهو علاقتها بالتحصيل العلمي لطالب الفلسفة ومراعاتها لمقررات البرنامج التربوي، فهو خلاصة لخبرة عامة في مجال الدرس الفلسفي تأليفا وتعليما.

ولقد أراد مؤلف هذه الخلاصة أن تكون كتابا تعليميا يجد فيه طالب الفلسفة أهم المسائل الميتافيزيقية ومختلف المواقف منها مرتبة ومبوبة بحسب اجتهاد خاص، كان في أساسه استجابة لضرورة ملحة اقتضاها الواقع التعليمي في الجامعة الجزائرية وفي المدرسة العليا للأساتذة خاصة، تمثلت في إحساس صاحبها "محمود يعقوبي" بقلة المؤلفات الخاصة بمبحث الميتافيزياء، وهذا إما لعدم مناسبتها للتعليم، وإما لعدم استجابتها لمقررات البرنامج، وإما لعدم توفرها في المكتبات لمراجعتها أو لاقتنائها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان لنا فرصة اللقاء العلمي بالأستاذ الدكتور "محمود يعقوبي" في مرحلة التدرج من خلال دروسه التي قدمها لنا في مدة ثلاث سنوات في مجال"المنطق الصوري، المنطق الرياضي، الميتافيزياء"، وقد زادت فائدة هذا اللقاء العلمي في مرحلة ما بعد التدرج من خلال دروس "فلسفة المنطق والميتافيزياء، ومنهجية البحث الفلسفي"، وهذا ما حفزنا في الكلام عن الأبعاد التي سعى "محمود يعقوبي" إلى تحقيقها في سلسلة مؤلفه "خلاصة الميتافيزياء" في أكثر من زاوية، زاوية البرامج والمقررات وعلاقتها بالتحصيل العلمي للطالب وزاوية التأطير العلمي والتربوي، كما يمكن النظر إليها من زاوية التفكير في الإنتاج والمردودية والنجاعة التكوينية لطالب الفلسفة. وكذا من زاوية الدور الثقافي والتاريخي الذي يرمي من خلاله إلى محاولة بعث الميتـــافيزياء الإســـلامية من مرقدها، وذلك بتحديد الصلة بها من خلال الدراسة والتأليف والتفكير في المسائل التي تعرضها أو الحلول المقدمة لها، ومن هنا فإذا أردنا تقييم سلسلة مؤلف "خلاصة الميتافيزياء" من خلال معرفة علاقته بالواقع التعليـــمي لطالب الفلسفة وتسألنا عن حصيلته ومكتسباته فما الذي يمكن استخلاصه؟ وبمعنى أخر: ما هي الإسهامات التربوية والتعليمية التي أضافها الأستاذ الدكتور "محمود يعقوبي" في مجال الدرس الفلسفي من خلال سلسلة مؤلفه خلاصة الميتافيزياء؟ ومـــا هي تداعيات وامتدادات هذه الإسهامات على مسار التحصيل التربوي والتعليمي لطالب الفلسفة؟

لقد ذكر الأستاذ "محمود يعقوبي" في كتابه "أصول الخطاب الفلسفي" أن هناك ثلاثة أنواع للبحث الفلسفي، فهو إما أن يكون إبداعا، وإما حديثا عن إبداع أو نشرا أو تحقيقا لهذا الإبداع، ومن تماسك فكره المنطقي راح في كتابه "خلاصة الميتافيزياء" يحدد ومنذ البداية إلى أي نوع من البحث الفلسفي سينتمي هذا العمل فكان انتمائه إلى النوع الثالث وهو نشر وتحقيق لإبداعات فلسفية، حيث يقول عنه «هذه خلاصة لمسائل الميتافيزيـــاء ليس لي فيها إلا الانتقاء والعبارة، أما الأفكار والآراء فهي لأصحابها الذين أجريتها على ألسنتهم أو لخصتها من أعمال غيرهم من المؤلفين الذين اعتمدت عليهم في تجريد هذه الخلاصة»[1].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبما أن لكل سلوك بشري أسبابه فقد جاء الكتاب سدا لفراغ تعرفه مكتبة الدراســـات الفلسفية التي هي معوزة للكتب التعليمية في مجال الميتافيزياء ويوضح "محمود يعقوبي" ذلك في تقديمه لجنيالوجيا أو نشأة فكرة الكتاب من المعاناة والهموم الفكرية التي اعترضته خلال تجربته في التدريس، وحيث يجب أن تلازم الجدية والدقة البحث الفلسفي أرشدنا إلى أهم الكتب التي اعتمدها في صياغة كتابه مقتنعا في ذلك أنه يتوجه إلى طلبة الفلسفة بجميع مستوياتهم، إذ اعتمد على كتاب "روجي فيرنو" في "فلسفة المعرفة" وعلى كتاب "ريجيس جوليفي" في "فلسفة الطبيعة" وعلى كتاب "هنري كلان" في فلسفة الوجود وعلى بعض كتب "هنري دريفوس لوفوايي" في فلسفة الألوهية"[2]، وبعد أن حدد السبب في صياغة الكتاب وملابسات بروز فكرته، قام بتصنيف المراجع التي اعتمد عليها، وهي خطوات يقتضيها كل عمل فلسفي، حيث يتبين أن الغاية منه هي غاية تكشف عن انتمائه حينا وموضوعية بحثه حينا آخر، نتلمسها في قوله « لقد أردت أن تكون هذه الخلاصة بعثا للميتافيزياء الإسلامية من مرقدها وذلك بتجديد الصلة بها، بالدراسة والتأليف ويمكن أن يحصل ذلك باقتفاء آثار الميتافزيائيين الأوربيين ذوي المذاهب الفلسفية العريقة أو النابتة في العصور الحديثة، لا من أجل تقليدها، بل للاحتكاك بها ولمعرفة قيمتها وللوقوف منها مواقف معلّلة عند القبول أوالرّد»[3]، وانطلاقا من كتابه "أصول الخطاب الفلسفي" فإن ترتيب المواضيع لن يكون بشكل عشوائي كونه نشر وتحقيق لإبداعات فلسفية، لكن تحت أي نوع من الأنواع التي حددها الأستاذ محمود يعقوبي يندرج بحث "خلاصة الميتافيزياء"؟

إن البحث يقدم حقائق عقلية «إذ الباحث المبدع في الفلسفة هو الذي يضيف إلى تصوراتنا تصورا أو تصورات أخرى تعرّفنا بالعناصر التي يتكون منها عالم المعقولات لدينا، أو يضيف إلى جملة التفسيرات التي نفسر بها وجود هذه التصورات لدينا، تفسيرا أو تفسيرات أخرى تعرفنا بالأسباب التي ولدت لدينا عالم المعقولات هذا، أو تحل محل تفسيرات أخرى زائفة ولدتها فيه النظرة غير الفلسفية»[4]، ولهذا أتت الموضوعات العامة لـلخلاصة بهذا الترتيب المنطقي، فالكتاب الأول منها في "فلسفة المعرفة"، لأن التساؤل حول إمكان المعرفة وطبيعتها ومصدرها، سؤال يؤرخ له بتاريخ الفكر الفلسفي ذاته، لهذا احتل مكان الصدارة، وطبيعة المعرفة بدورها تطرح مشكلة الوجود الفيزيائي، فيجد الباحث نفسه مباشرة في مواجهة الطبيعة لمّا تعرض نفسها عليه بصفة مباشرة عن طريق حواسه فتكون مادته الثانية للتفكير، ولعل هذا ما جعل الفلاسفة قبل سقراط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتجهون إلى الطبيعة للإجابة عن تساؤلهم "ماذا وراء الأشياء؟"، لذا كان الكتاب الثاني من الخلاصة بعنوان "فلسفة الطبيعة"، وبعد استقراء موجودات الطبيعة يمكن بعد ذلك تحديد ما يخص كل موجود وما هو عام بين الموجودات كالموجودات ذاتها التي لها عللها ولواحقها، ولهذا بالضبط كان الكتاب الثالث بعنوان (فلسفة الوجود)، وحتى تكتمل نظرة الباحث في مجال الميتافيزياء لا بد من الوقوف على العلة المطلقة أو علة العلل أو المحرك الذي لا يتحرك أو الصانع، وهي قمة النظر لكل ميتافيزياء أعدت نفسها للكلية والشمول. لكن كيف يمكننا أن نفهم علاقة هذه المجالات التي تهتم بها الميتافيزياء بالدرس الفلسفي في صيغته البيداغوجية التعليمية؟

إن الدرس التعليمي محتاج إلى الدقة في صياغة المفاهيم ومعالجتها، والفلسفة أكثر من غيرها تحتاج إلى هذه الدقة كونها تقوم على مفاهيم تجريدية تخاطب بها العقول، ولكي يبقى الحوار قائما واحتمال الإقناع واردا، لابد من أن تكون الألفاظ المستخدمة واضحة، والاتفاق حول المفاهيم ممكنا، و"محمود يعقوبي" ينتهج هذه الخطوات في تناوله لمسائل الميتافيزياء، وما يطرح فيها من اشكلات، فهو يتناول مثلا في الفصول الثلاثة الأولى من كتاب "فلسفة المعرفة" تحديد الميتافيزياء من خلال العناصر الثلاثة التالية: "المعنى الأصلي لها" ثم "معانيها المختلفة" ثم "ما هي الميتافيزياء في الفكر الإسلامي" هذا في الفصل الأول، أما في الفصل الثاني فينطلق مما هو شائع من مزج وتوحيد بين "الفلسفة والميتافيزياء" ويوضح العلاقة بينهما، أما في الفصل الثالث الذي دار حول "الحقيقة الفلسفية والحقيقة العلمية" تكلم عن مقابلة الحقيقة الفلسفية للحقيقة العلمية، وتناول من جهة أخرى عنوان "تعريف الميتافيزياء" وهي خطوة لازمة لموضوع البحث.

إذ لا سبيل إلى إقناع طلبتنا أو محاورينا إلا باستخدام المعاني المرسلة في ألفاظ يجب أن تكون واضحة خالية من أي لبس أو غموض يقف حائلا دون وصول الدّرس الفلسفي إلى غايته، إذ يجب أن يحدد أستاذ الفلسفة "الألفاظ والمفاهيم المتعلقة بموضوع الدرس البيداغوجي، وذلك بتعريفها وتحديدها ويتعين هذا التحديد في الألفاظ المشتركة وفي الألفاظ الدالة على المعاني المجردة، ولاسيما في الألفاظ ذات الاستعمال الخاص، لأن الحديث يفقد طابعه الفلسفي متى شاع فيه اللّبس والإبهام، وموضوعه يكون عندئذ غير محدد، مما يفقد معه الحوار شرطه الأول، وهو الاتفاق على الموضوع ويجب أن يكون تحديد الألفاظ المستعملة بحسب ما يحتاج إليه المقام، فيطول هذا التحديد أو يقصر بالقدر الذي يحصل به الوضوح ويرتفع الإبهام»[5]، وفي هذا الصدد عرف الأستاذ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"محمود يعقوبي" الميتافيزياء بردّها إلى أصلها اللغوي اليوناني الذي نعني به "ما بعد الطبيعة" والذي كان عنوانا لكتاب "أرسطو طاليس"، وقد دل معناها على الفلسفة الأولى "الإلهيات" كما جاء في كتاب "الشفاء لابن سينا"، إذ يقول « ومعنى ما "بعد الطبيعة" البعدية بالقياس إلينا، فإن أول ما نشاهد الوجود ونتعرف عن أحواله، نشاهد هذا الوجود الطبيعي، وأما الذي يستحق أن يسمى بهذا العلم، إذ اعتبر بذاته فهو أن يقال له علم ما قبل الطبيعة، لأن الأمور المبحوث عنها في هذا العلم هي بالذات وبالعموم قبل الطبيعة»[6]، وكما يرى أنه دفعا لكل لبس أو التباس ينبغي للباحث أن يستشهد من المصادر الأصلية مباشرة وبذلك يسد على نفسه وغيره أبواب الريبة في الأقوال المنقولة اللّهم إلا إذا كان المروي عنه ممن لم يدون أقواله في كتاب ولم تعرف أقواله إلا ممن نقلها عنه مشافهه، ولهذا نبه إلى خطر ذلك "ابن رشد" عندما قال في كتابه "تهافت التهافت" «فأنظر إلى هذا الغلط ما أكثره على الحكماء فعليك أن تبين قولهم هذا هل هو برهان أم لا؟ أعني في كتب القدماء لا في كتب ابن سينا أو غيره الذّين غيروا مذهب القوم في العلم الإلهي حتى صار ظنيا»[7].

ويمكن القول أن أهم ما يميز الكتاب الثاني "نظرية المعرفة" من الخلاصة هو احتواءه على مفاهيم محدّدة سلفا واعتماده التحليل والاستنباط المنطقي المحكم في انتقاله من المقدمات إلى النتائج أو من الأثر إلى المؤثر، كونه ينم عن ابتكار للخطاب الفلسفي، وفي هذا الفصل يبدأ بطرح المشكلات المتعلقة بالمسائل الكبرى للبحث الميتافيزيقي، إذ أنّ "وجود المشكلة شرط ضروري لانبعاث الحاجة إلى الخطاب الفلسفي، لكن المشاكل لا توجد نفسها، بل الباحث هو الذي يعثر عليها ويكتشفها بل يبتكرها ابتكارا فتكون القدرة على اكتشاف المشاكل الفلسفية من صميم القدرة على البحث الفلسفي"[8]، لذا طرح مشكلة المعرفة وحدد أصنافها وتطورها عبر التاريخ، وذلك من أجل أن يجعل الطالب ملّما بجوانب المشكلة قادرا على مشاركة معلمه في البحث عن إيجاد حل لها؛ مستعينا بمن ذكرهم من فلاسفة في خضم هذا الطرح الإشكالي، لذا كانت الفصول الأربعة الأولى من كتاب "فلسفة المعرفة" بمثابة التمهيد وهو ركيزة أساسية لما سيتناوله كتاب "خلاصة الميتافيزياء"، إذ تتضح من خلالها معالم المشكلة في صورتها العامة، وما تبقى هو سبر أغوارها والعمق فيها أكثر وفق طرق استنتاجيه حينا واستقرائية حين آخر، وإن كان الاستقراء ليس سوى ضرب من ضروب الاستنتاج لانتقال الفكر فيه من مقدمات جزئية إلى قضايا عامة، لأن الخطاب الفلسفي المقنع حديث عن ماهيات الأشياء أو عن عللها من أجل معرفة حقائق هذه الأشياء ومعرفة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصدرها، إنه في جوهره خطاب معرفي سواء أكان موضوعه النّظر أو العمل، ولا يمكن أن يكون هناك حديث فلسفي دون أن يكون حديثا عن معرفة حقائق الأشياء وعن معرفة عللها، فالفلسفة معرفة تريد أن تكون دائما قصوى مطلقة كما يري ذلك "محمود يعقوبي"[9].

من أجل هذا قدم الأستاذ خطابه الفلسفي من خلال عرضه لمختلف المذاهب الفلسفية التي عبرت هي الأخرى عن الثراء المعرفي لديه، والذي يجب أن يتوفر لدى كل أستاذ لأنه من أجل درس فلسفي ناجح يجب أن تتجاوز معرفة الأستاذ معرفة الطالب في هذا الدرس وإلا انصرف عنه ذهن هذا المحاور كما يجب عليه ضبط طرائق البحث، فيحدد المبادئ العامة أو مواضع الحجج من مواضع لغوية ومنطقية وميتافيزيائية للمذاهب الكبرى، فيبحث في ماهية الأشياء وعللها القصوى في كل منها بالتجريد والنظرة الكلية ويحلل كل حجة من الحجج إلى مجموعة عناصرها ليميز جوهرها من عرضها مستخدما النقد والمحـــاجة والنزاهة العقلية والنقد الذاتي واستقصاء الحلاقات العامة للمشكلة المطروحة في موضوع البـــــحث.

ويمكن أن نكتشف هذا في تحليلات "محمود يعقوبي" من خلال تتبع الخطوات التي شكلت فهرس البحث الذي أورده، ونذكر فيما يلي مثالين تبدو المقارنة بينهما وكشف التماثل على مستوى منهجية البحث المحكمة دليل على روح البحث الفلسفي، وهما المذهب التجريبي والمذهب العقلاني. والتي حدد في استقصاء حيثيتهما منهجية محــكمة للعمل تنم عن إدراكه لــكيفية بناء البّحث الفلسفي.

غير أن إدراك قواعد البّحث لا يلزم عنه ضرورة القــدرة على البناء، إذ لا ينتقل هذا الإدراك من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل إلا من خلال إرسائه في فعــل التّفكير في البحّث الذي لا يمكن فصله عن منهجيته، ونقصد هنا نقطتين هما أولا: أنه يجب معرفة قواعد البّحــث من ناحية، وهذا أمر ضروري لأي نوع من المعرفة، أما النقطة الثانية فهي إن لزمت باقي العلوم عرضا فهي تلزم الفكر الفلسفي جوهرا، إذ هو لا يستقيم ولا يتضــح إلاّ مــن خلال تقــديمه في تسلســل منطقي، حيث يتداخل البحث الفلسفي مع منهجه. وهو ما أكدّه "أرسطو طاليس" في كتابه "الميتافيزياء" حين دعي إلى ضـــرورة معرفة قواعد "القياس والبرهان" كما أوردها في "التّحــليلات الأولى" و"الثانية"، من أجــل تحديد الموضوع المبحوث فيه، أي نوع من المعرفة هو،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه فكرة أكدها بعده "برتراند راسل"، لأن "الذي يتفق عليـــه الفيلسوفان هو جوهـــر الفلسفة الذي يتقوّم لديهما من العمل المنطقي الذي بدونه يفقد الخطاب الفلسفي طبيعته"[10].

وهذا المطلب نجده حاضرا في كتاب "الخلاصة" حتى لتعتقد أنّك تتحرك في صفحاته بشكل آلي أوجده تماسكه المنطقي منهجا ومعرفة، من بين هذا أن "محمود يعقوبي" يتعمق في تعريف الميتافيزياء بمعانيها المختلفة التي صارت إليها فيما بعد منتهجا درب الدقة في ربط التعريف بصاحبه أو التيار المنتمي إليه أو الكتاب الذي ورد فيه التعريف محددا الفترة الزمنية التي عاشها ملتمسا في ذلك البعد الكرونولوجي للتعريف. وإن كانت هذه التعريفات لم ترد في ترتيب كرونولوجي كما تداولها المفكرون والفلاسفة نظرا للبعد الزمني والمكاني بينهم، منتهيا في ختام هذه التعريفات بالتعريف الإسلامي للميتافيزياء ملتمسا في ذلك غايته القصوى من الكتاب متواضعا لتطلعات طلابه، وكأي بحث جاد وحس راقي بمسؤولية الكتاب يذيل الأستاذ كل فصل بقائمة المراجع والمصادر التي استخدمها لإثراء موضوعـــه موجها بذلك الطلاب إليها لتوسيع آفاق بحثهم من جهة، ودفعهم إلى قراءة المصادر الأصلية من جهة أخرى.

أما في الفصل الثاني من كتاب "فلسفة المعرفة" والموسوم بعنوان «الميتافيزياء والفلسفة»، اعتمد فيه "محمود يعقوبي" المنهج التحليلي، حيث تناول بالتحليل الموضوعي كل من الميتافيزياء والفلسفة ليبين أن الثانية تندرج ضمن الأولى، فهو ينطلق من قضية تجريبية والمتمثلة في القول الشائع الذي يوحد بين مفهوم الفلسفة ومفهوم الميتافيزياء، لكن المذهب الفلسفي وإن كان ليس تجريبيا فإنه يقوم على الأقل على قضية تجريبية واحدة، وبهذا يشد الأستاذ محمود يعقوبي ذهن الطالب أو المحاور، لأن الانطلاق من قضية ذهنية تجريدية يجعل الفهم بعيدا عن ذهن الطالب مما يؤدي به إلى العزوف عن طلب الحقيقة، فعالم المثل الأفلاطوني صورة مثلى للعالم الحسي ومعاناة الشك والتفكير كحوادث معيشة وخبرات نفسية انطلق منها ديكارت بل وحتى الغزالي، انطلق من قضية تجريبية وخبرة نفسية في نقده لقدرة العقل على بلوغ الحقيقة والمتمثلة في "رؤية الأحلام والاعتقاد لصدقها بخاطر الرؤية، وقد تكون هذه الخبرات من المعتقدات الراسخة لدى الرجل العادي أو الوقائع النفسية المألوفة أو معطيات العلوم التجريبية[11].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وباستخدام الاستنتاج العقلي واستنباط النتائج من التحليلات يصل بذهن الطالب إلى دراسة منطقية لأنواع المعارف فتحضى الميتافيزياء كفلسفة عامة بالمرتبة الأولى، ثم الفلسفة الخاصة بالمرتبة الثانية وأخيرا المعرفة العلمية، وفي الفصل الثاني الذي خصه بمنهج مقارن اقتضته طبيعة المشكلة، ينطلق من تحديده لفكرة الحقيقة محللا ومستشهدا بالأمثلة على الاختلاف الحاصل بين الحقيقة العلمية والحقيقــة الفلسفية. ليبين خصائص كل منهما بطريقة يسهل استيعابها فجاء باثني عشر خاصية لكل منهـما، وحرصا منه عــلى الإقناع والدقة وتأكيدا على الإبلاغ راح يرتبها بشكل توحي الأولى مثلا في الحقيقــة العلمية إلى الأولى نقيضتها في الحقيقة الفلسفية.

أما في كتاب "فلسفة الطبيعة" فيستهــله "محمود يعقوبي" بتحــديد المفاهيم انطلاقا من تحديــد مفهوم الطبيعــة، مــن أجل رفع الــلّبس عن هذا المفــهوم، فهو لا يقــدم التّعريف أو المــفهوم الذي يتبنــاه مــباشرة، بل يقــدّم تعريفات أخرى والــتي يمكن أن يعتمــدها الطــالب بقــصد، أو عن غير قصــد فيــقدم تعــريف "ابن سينا" ويذكر أنّ هذا لــيس المقصود، ويبادر إلى تحــديد المعنى الذي يتبنــاه فتتضح بذلك الرؤيا لدى الطــالب بحــذف جميع التّعريفات الغير مناسبــة؛ والإبقــاء فقــط على ما هو موضوع للبحث.

إن تصفح هذا الكتــاب يشعرك أنك لم تــدرس شــيء من الفلسفــة أو الميتافــيزياء، إذ ستصادفــك مفاهيم تبدو صعــبة وغريبة، خاصــة لمن لا يهتمون بفلسفــة العلوم وبمفاهيمها، مثل طبيعة الكمية وأنواعــها، نوع الكــمية، العدد، الامتــداد، طبيعة المتصل والحيز والمكان، مســألة الفــراغ المطلق، الحركة، ولكن ذلك التسلسل المنطقي واعتماد الإيضاح الذي لاحظناه في الكتاب الأول يبعث فيك القــدرة عــلى تحليل هذه المــفاهيم، هــذا لأن الأستــاذ في تقديمــه للدرس الفلســفي في صورته المفهومة والواضحة يجب أن يقــدم المفــاهيم واضحة ومفــهومة للمتعلم، وان كانت لا تعــرف إلا بالأجنــاس العليا فوجب عليه أن يقــدم تعريفــها بواسطــة الرســم (La définition par dessin)، من أجــل مقــاربة ماهيتــها فــيعرف الكــمية مثــلا أنها «من الناحيــة التجريبيــة هي المجال الكــبير والصــغير والمقــدار المتّــحيز والمنــقسم، ففي الكثــير أكثر مما في الصــغير من وحــدات والمقــدار محــدد بعــدد مــن الوحدات والمتــحيز يشغل مقدارا من المكــان، والمنــقسم يتصل وينفصل إلى عدد من الأقســام»[12].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانطلاقا من هذا التــعريف التــجريبي الوضعي يرتقى بذهن الطالب إلى تعــريف الكمية الفلســفية من خلال معرفة تميزها بالانقسام الداخلي وتجانس أجزائها مميزا في ذلك بين الأجزاء الجوهرية في الشيء والأجزاء الكــمية، فيبين مثلا أن قطرات الماء أجزاء الكمية، والأكسجين والهدروجين أجــزاء جوهــرية، إضافة إلى أهمية التعريفات في بناء الدرس الفلســفي، نلاحظ انتقال تحليل "محمود يعقوبي" في الــتدرج من البسيــط إلى المــركب ومن الحسي إلى المــجرد، الــذي لا يفــاجأ بــه المتعــلم فيذهــله ويمنعه من بناء الحوار الحجاجي المنطقي مع الأستاذ، إذ عــلى هذا النحو الذي اتبعه يمكن أن يعرف الطالب من أين انطلق وإلى أيــن يتجه.

وبما أن موضـــوع المعرفــة هو مجــموع الموجــودات فإن الأمثلة التي تؤيد البحث وتسهل استيعابه تكون حاضرة وبشدة، إما في التعريفات كما رأيناه من خلال مثال الــماء، أو بتقــديم بيــانات أو رســومات تبين الفكرة مثــل تبيان الفرق بين الكمية المتصــلة والكــمية المنفصــلة، أما عند تناوله لإشــكالات أصــل العدد أو طــبيعة المتصــل نجد أنفسنا نقف أمام دقة ونباهة مقتضيات التحليل، فنــدرك بذلك الثّــراء المعرفي للأستاذ "محمود يعقوبي" في ميدان بحثه، ولذا يفترض بالباحث الطالب أن يكون ملّما بجميع فروع بحثه وعلى علم بتطوره وبنظريات البحــث كما وردت لدى أصحابها في ميدان تخصصــهم، ثم يناقشــها وفق ما تسمح به مقتضيات الموضوع والطابع الحجاجي المنتهج في المعالجة، فمثلا في حديثه عن أصل العدد بين اختــلاف النظار فيما بينهم عن ردّه إلى التجــربة مع التجــريبيين أو إلى العقل مع الفطريين، نلمس وفق تحليله أن فكرة العدد اللانهائي تحتــاج نوع مــتميّز من المعــرفة وهي المعرفة الرياضيــة، ومعرفة أصــحاب نــظريات هذا الموضوع.

حيث يقول: «... ومن شأن هذه الملاحــظات أن تدعونا إلى مــعرفة المجموعات الموغلة عند (كانتور)ensembles transfinis de cantor (1845-1918) الرياضي الروسي الذي حاول أن يقدم حلا رياضيا لمشكلة العدد اللامتناهي، فاتخذ نموذجا للعدد اللامتناهي: مجموعة الأعداد الطبيعية (أ) و بيّن أن البــديهية التي تقول: إن الكــل أكبر من جزئه لا تنطبق على هذه المجموعة، إذ أن مجموعة الأعداد الزوجية(ب) 2 ، 4، 6، 8، 10، 12، 14، 16...(ب)، التي هي مجــموعة فرعية من مجموعة الأعداد الطبيعية (أ):1، 2، 3، 4، 5، 6 ، 7، 8...الخ (أ)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تضـم الأعداد الزوجية والأعداد الفردية لها نفـس القوة التي للمجموعة (أ) بمعـنى أن الجـزء (ب) يساوي الكـل (أ)، ومن هـنا جاء التعريف لـ(المجموعات الموغلة)، وهي: كل مجموعة لها نفس القوة التي لمجموعتها الفرعية"[13]، وبنفس استفاءه للثراء المـعرفي فيـما يخص درسـه يتدرج إلى تحـرير مفاهيم أخرى رياضية كانت أو فيزيـائية كموضـوعية الكـيفيات والنـظريات المرتـبطة بها، دون أن يحيـد النـظر في الكـشف عن الغـاية الـتي من أجـلها كانت خلاصة الميـتافيزياء وهي تقـصي الجـانب الميتـافيزيائي للطبيعة مقتفيا آثار الفلاسفـة الذين تنـاولوا هذه الجـوانب من البحـث فيقـدم في الامتداد مثلا آراء كل من باركلي، كانط، ديـكارت، ومالبرانـش، زينون الإيـلي والفرنسي"Lachelierss لاشولي" (1832-1918)، ليبين كيفية تحديد المفاهيم العلمية والفلسفية.

أما في ما يخص الجزء الخاص بـــ"فلسفة الوجود"، فقد انتهج فيه مقاربة تحليلية خاصة، نظرا لأن مبحث الوجود أو الأونطولوجيا يشكل لب مبحث الميتافيزياء، بل هو يتداخل معها في أكثر من مستوى. لأن موضوع الفلسفة الأولى حسب التحديد الأرسطي له هو العلة الأولى للوجود أو العلم الأعلى أو الجوهر وكل هذه التسميات تصدق على الموجود بما هو موجود أو عن سبب وعلة وجوده، وفي هذا يرجع إلى عبارة "أرسطو طاليس" التي افتتح بها كتاب (الجيم) قائلا "هناك علم ينظر في الموجود من حيث هو موجود وفي الصفات التي يتصف بها اتصافا جوهريا ولا يلتبس بأي واحد من العلوم الخاصة"[14]، وهذا العلم إنما هو علم الوجود، وقد استند في توضيح فكرة الوجود إلى الأفهام من خلال بسطه وعرضه لمختلف التعريفات الواردة في هذا الشأن لتوضيح خواصه التي من بينها أنه: متعال، مبهم الكثرة، كيفي، كمي موجود.

ولذا فإن فهم طبيعة المشكلات التي يعالجها مبحث "فلسفة الوجود" أو "الأونطولوجيا" يستدعى منهجية خاصة ينبغي على الأستاذ أن يلتزم بها وعلى الطالب أن يستوعبها، حيث درج إلى محاولة بسط مشكلات "مبحث الوجود" بسطا بيداغوجيا يساعد طالب الفلسفة عن طريق استخدام المحاججة البرهانية العقلية على التعامل مع المشكلات التي يتعرض لها في معالجته للمسائل الأونطولوجية الميتافيزيقية، ولهذا فإن تقديم الدرس الفلسفي في صيغته الخاصة بمبحث الوجود استدعى من المؤلف التدرج في الانتقال من المستوى الحسي البسيط إلى المستوى العقلي المجرد، وهذا ما تحدده نقطة انطلاقه في الباب الأول من هذا الجزء والذي جاء بعنوان "تركيب الموجود المخلوق"، لأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعامل مع المعطيات الحسية المباشرة التي يتفاعل معها طالب الفلسفة في واقعه اليومي المعيش أمر من شأنه أن يوقض فيه نباهة الوعي والفهم، من خلال استيعابه للمدركات الحسية "معطيات الملاحظة"، فهو لا يستطيع تجريد مفاهيم حول الوجود والماهية والصيرورة ما لم تتضح له في البداية المعطيات التجريبية الملاحظة في الأشياء مثل القوة والفعل والكثرة والتغير وغيرها من المدركات التي تنطبق على ما يمكن ملاحظته في معطيات التجربة الحسية الخارجية. وهذا الأمر يتوقف بالدرجة الأولى على قدرة الأستاذ في إيصال المعلومة للطالب بالطريقة البيداغوجية والمنهجية السليمة التي لابد أن تتناسب مع طبيعة المشكلة الفلسفية الأونطولوجية المعالجة وبمراعاة هذه المقتضيات يمكن لطالب الفلسفة أن يدخل في حوار بيداغوجي مثمر مع الأستاذ، مثلا ما تعلق منه في الخلاف بين مذهب "واحدية الوجود" الذي يراه الايليون على رأسهم "أكسينوفان"، الذي ينكر وجود الكثرة ووجود التحول في الكائنات ومذهب واحدية الصيرورة الذي يراه "هيرقليطس"، والذي يقر بالكثرة والتغير، وبعد أن يفهم طالب الفلسفة طبيعة المحاججة القائمة بين التصورين يمكن للأستاذ بعد هذا أن يرتقي بذهن الطالب إلى المذهب الثنائي الأرسطي الذي يجمع في توليفة واحدة بين كلا التصورين[15].

إن الأنماط الكلية والشمولية للوجود لا تبقى على المستوى الحسي الملاحظ وان كان هذا المستوى مدخلا ضروريا لفهمها، لأن هناك من التصورات مالا يصدق دائما على الموجود الحسي مثل الجوهر الماهية، وغيرها، ولأن "هذه الأنماط الكلية من الوجود لا تدركها الحواس، إلا أن هذا ليس مبررا كافيا لإنكار وجودها ولا لإنكار أن هذا الشيء سبورة مثلا بدعوى أن العين لا ترى منها إلا مساحة سوداء، بل إن الإنسان يملك ملكات للمعرفة غير الحواس وحقيقة الشيء وما هو عليه إنما يدركه العقل وراء خصائص هذه الأشياء ووراء النشطات الحسية التي تعرب عما هو" [16].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن القول أن طالب الفلسفة سيحصل دائما إما عن طريق المحاججة العقلية المباشرة والحوارية مع غيره من الطلبة والأستاذ، وإما عن طريق تحليله لمواقف الفلاسفة، تصورات فلسفية عميقة حول "فلسفة الوجود" أو "الأونطولوجيا" من خلال معالجته للمشكلات التي تطرحها وللحلول الممكنة التي يقدمها الفلاسفة لمثل هذه المشكلات، ويمكن للطالب أن يفرق بين الماهية والوجود، إذا ما هو قرأ بتمعن الحجج التي قدمها "محمود يعقوبي" في هذا الصدد من خلال استقرائه لنصوص "ابن سينا" التي تقر مثلا بالفرق الواقعي بين الماهية والوجود، والتي منها على سبيل المثال الصورة المنطقية للحجة الميتافيزيقية التي تقول:

"الكائن الموجود بمقتضى ماهيته والذي تتطابق فيه ماهيته ووجوده في الواقع هو كائن ضروري دائم لا علة له ولانهاية له.

_ لكن المخلوقات ليست ضرورية ولا مستغنية عن العلة وليست دائمة ولا بغير نهاية.

– إذن فهي ليست كائنات موجودة بمقتضى ماهيتها[17].

ويمكن إيجاز حجة ميتافيزيقية أخرى في صورة منطقية مختصرة تقول:

"– الكمال مغاير للماهية التي تعينه.

– والوجود كامل.

– إذن فالوجود مغاير للماهية التي تعينه" ([18]).

إن الميزة الأساسية التي يمكن معرفتها من خلال الاطلاع على مؤلف "خلاصة الميتافيزياء" بأجزائه الأربعة، هو أن كل فصل يتناوله خاصة في الجزء الخاص بـــــــ"فلسفة الوجود"، إنما ينطلق فيه من معطيات التجربة، ومثال ذلك في حديثه عن الماهية والوجود، أو عن المادة الأولية والصورة الجوهرية، أي عن الأجسام وخواصها المتغيرة [19]، لأن النظرة التجريبية في هذه الأمور العامة تساعد طالب الفلسفة على التوغل فيها لمعرفة تكوينها الميتافيزيقي، ولعل هذا يكون بعد الاطلاع على موقف الفلاسفة والمفكرين القدماء من مشكلات الوجود المختلفة، مثل السؤال عن المادة الأولية الأصلية التي تتكون منها الأجسام لتفسير التغير الذي تتعرض له هذه الأجسام. وفي هذا يكون الاطلاع على موقف كل من المذهب الآلي الذي يرى أن العالم جسماني يتكون من كتلة مادية ذات قصور ذاتي، لأنها تحتاج إلى ما هو خارج عنها من أجل الحركة، والمذهب الديناميكي الذي يقرن المادة بالنشاط والحركة، لأنها مؤلفة في نظرهم من قوة غير ممتدة [20].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولهذا يكون من الضروري لطالب الفلسفة معرفة هذه المواقف من خلال اطلاعه على حجج كل من الآلية الهندسية عند "ديكارت"، والآلية الذرية عند "ديمقريطس" و"ابيقور"، أما في ما يخص المذهب الدينامي فيمكنه أن يطلع على حجج كل من" ليبنتز" و"بوشكوفيتش" و"مييرر" وغيرهما، غير أن الميزة التي ربما يتميز بها طرح "محمود يعقوبي" هو أنه لا يقتصر فقط على عرض مواقف وحجج الفلاسفة والمفكرين أنصار المذهب الآلي والدينامي، ولكنه يعزز ذلك في قالب لغوي منطقي بسيط وسليم، مما يمكن لطالب الفلسفة القدرة على تلقي المعلومة في صيغتها اللغوية والمنطقية التي تعرفه بحقيقة المذهب والموقف المدروس دون غيره، ولعل ما يزيد من قيمة الدرس الفلسفي في مجال الانطولوجيا "فلسفة الوجود" كما يعرضها في مؤلفه هذا هو إلمامه بالخطة البيداغوجية المنطقية التي تشحذ ذهن الطالب وتجعله يعيش نوعا من المحاججة العقلية، ويظهر هذا جليا مثلا في رده على حجج أنصار المذهب الآلي والدينامي بحجج عقلية منطقية أخرى من شأنها أن تبطل وتفند مواقفهم، حيث نجده يقول "إن هذين المذهبين بصفة عامة لا يقدمان حلا للمشكلة الميتافيزيقية المطروحة وهي مشكلة التكوين النهائي للأجسام، بل هما يكتفيان بتحليلها إلى أجزاء مادية أو روحية دون أن يبينا ما هي مكونات هذه الأجزاء في نهاية التحليل ودون أن يبينا سبب وحدتهما الجامعة وسبب خواصهما النوعية"[21].

ومن بين الردود التي ذكرها في تفنيد دعوى المذهب الآلي هو الحجة التالية التي تقول: "إن رد جميع الفعاليات وجميع الطاقات وجميع الكيفيات التي تختلف اختلافا نوعيا في الأجسام إلى مجرد الطاقة الآلية هو تحكم محض، كما أن رد التغيرات الجسمية إلى مجرد تغيرات في العلاقة بين الجزئيات هو تفسير لفظي، لأن العلاقة الواقعية لا تتغير إلا بتغير أحد طرفيها[22]، أما الرد الذي اعترض به على المذهب الدينامي يمكن اختصاره في القول أن المذهب الدينامي لا يستطيع أن يفسر امتداد الأجسام، ذلك أن هذه الأجسام مؤلفة من ذرات روحية لا امتداد لها، وبالتالي لا يمكن تكديسها لأنه لا أبعاد لها، فإنه مهما تعددت هذه الأعدام من الامتداد إلى مالا نهاية له فإنه لا يتكون من ذلك شيء ممتد [23].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه حجة منطقية تستند على الأخذ بالمقتضيات الحسية التجريبية في تفنيد دعوى أنصار المذهب الدينامي الذين يرجعون الامتداد إلى أبعاد روحية، والحجة بهذه الصيغة المنطقية تهيئ ذهن الطالب إلى اكتساب القدرة الحجاجية في الأخذ والرد بين المواقف والآراء وحتى بين الحجج المخالفة والمعارضة، مما يمكنه تكوين حجج جديدة يمكن أن يقتنع بها بعد أن تتضح له أغلب الحجج التي تداولها أنصار المذاهب المختلفة في مثل هذه المسائل، وهذا ما يؤهل طالب الفلسفة في ما بعد إلى الخوض في المسائل الشائكة في مواضيع الميتافيزياء، وأهم هذه المسائل مثلا مشكلة علة الوجود التي خصص لها بابا كاملا في الجزء الخاص بفلسفة الوجود الذي تطرق فيه إلى أنواع العلل، المادية والصورية والفاعة والغائية بتحليل مفصل لمبادئها ومفاهيمها، ولعل الشيء الذي يلفت الانتباه في هذا العرض هو تذليل المؤلف في نهاية كل تحليل لموقف ولحجة أو لاستنتاج بمناقشة لمضمونها ولحججها ولما يترتب عنها، ومثال ذلك مناقشته لموقف كل من "ليبنيتز" (1646-1716) الألماني و"مالبرانش" (1638-1715) الفرنسي، والذي فحواه أن الإله وحده العلة الفاعلة الحقيقية التي تقدم لها المخلوقات المناسبة للفعل، وقد استند في مناقشته لهذا الموقف على أراء بعض المشائين القدماء والتي صاغها في طابع حجة جديدة مثل قوله في الحجة التجريبية "التجربة تبين لنا مما لا يدع مجالا للشك أننا نؤثر في أنفسنا وفي غيرنا وأننا نتأثر بأفعال غيرنا وأننا نعتبرهم مسؤولين متى كانوا عقلاء تتوفر فيهم شروط المسؤولية"[24]، ولذا يقول في الحجة العقلية "العقل يجد أن المخلوقات تصير غير مفهومة لو كانت خواصها وأفعالها التي يتكون منها النظام الطبيعي الذي يسود العالم لا موجب لها ولا تأثير لها[25]، ومن شأن هذا الاعتراض الحجاجي الذي يقدمه في مناقشته لأراء ومواقف بعض الفلاسفة استنادا على أراء ومواقف البعض الأخر، أن يكون مدخلا بيداغوجيا سليما يبين لطالب الفلسفة قيمة الحجة المنطقية الفلسفية في الرد والاعتراض والمناقشة مما يهيب به إلى إعداد روح فلسفية عميقة تستند على أسس منهجية ومنطقية تقتضيها طبيعة الدرس الفلسفي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيد أن عمق الدرس الفلسفي في مستواه الميتافيزيقي كما يعرض في سلسلة مؤلفه "خلاصة الميتافيزياء" يتضح بشكل بيداغوجي وتعليمي تربوي أكثر في الجزء الخاص بـــــ"فلسفة الألوهية"، لأن مشكلة الألوهية مشكلة لا تطرح فقط عند المشتغلين بالفكر الفلسفي سواء عند الأستاذ أو الطالب فقط، بل إنها مشكلة الإنسان في حد ذاته من حيث المعتقد الذي يعتقد به ومن حيث الديانة التي يتبعها، ولما كان هذا الجزء من المؤلف خاصا بالدرس الفلسفي الذي ينبغي أن يتلقاه طالب الفلسفة المتعلم الذي يسعى إلى تحصيل المعرفة التي يقتضيها مبحث الميتافيزياء، فإن المؤلف ارتأى أن يطرح مشكلة الألوهية وفق مرجعية الطرح الإسلامي لها، أي وفق أصول العقيدة الإسلامية، ولعل هذا بسبب أن المتلقي "أي الطالب" يحتاج إلى فهم ومناقشة أراء ومواقف الملحدين على اختلافهم وفق سند عقائدي سليم يسمح له بأن يناقش أطروحاتهم دون أن ينزلق معهم في ما يذهبون إليه، سواء الملحدون الذين ينكرون وجود الإله أصلا أو المتصوفة الحلوليون الاتحاديون الذين يوحدون الخالق والمخلوق مثلما فعل المتصوف الاتحادي "الحسن بن منصور الحلاج" (ت 309 هـ-922 م) الذي قال:

"سبحان من أظهر ناسوته	سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا	في صورة الأكل الشارب
حتى لقد عاينه خلقه	كلحظة الحجاب بالحجاب"[26].

نجد هنا أن المؤلف ينبه الطالب المتلقي أو المبتدئ في مجال الدرس الفلسفي إلى أن يتجنب الاعتقاد في ما يراه المتصوفة الحلوليون المتطرفة الذين لا يمكن لهم البرهنة على ما يدعون في معتقداتهم وفق ما يقتضيه العقل الفطري السليم، غير أن المؤلف لم يتوقف عند هذا القدر فقط، بل حاول أن يصنف ويجمل بعض أراء الملحدين من مثل الإلحاد المادي عند "هيرقليطس" و"ابيقور" و"ديمقريطس" والإلحاد الإنساني عند "الماركسيين" والإلحاد "النيتشوي" والإلحاد الوجودي عند "جون بول سارتر" مبينا طبيعة أرائهم وقيمة حججهم ليخلص إلى مناقشة نقدية إجمالية يمكنها أن توضح لطالب الفلسفة كيف أن الموقف الإلحادي في أغلبه موقف سلبي، لأنه ينكر وجود الإله وليس في متناوله أية حجة يستند عليها في إنكاره لأنه "لا سبيل إلى إثبات الحقائق إلا باعتماد التجربة أو البرهان، وليس هذان السبيلان مما يمكن للملحد أن يسلكهما لإثبات عدم وجود الإله"[27].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا نجد أن "محمود يعقوبي" يهدف إلى عرض مواقف بعض الفلاسفة والمتكلمين في إثباتهم لوجود الإله، مثل دليل الحركة الذي أثبته "أرسطو طاليس" ودليل العلة الفاعلة الذي أثبته "ابن سينا" ودليل الإمكان "للفارابي"، ودليل النظام والعناية "لابن رشد" والدليل الوجودي عند "أنسلم"، ولعل هدفه من عرض هذه الأطروحة هو تنبيه طالب الفلسفة الذي يسعى إلى تحصيل معرفة حول مشكلة الألوهية إلى أن وجود الإله محل استدلال ولا يمكن أن يكون محل برهنة، لأن البرهنة لا تستقيم إلا بين التصورات التي يتضمن بعضها بعضا ويلزم ثبوت بعضها من ثبوت بعضها الأخر دونما التفات إلى وقائع العالم الخارجي وليس المطلوب في هذا الصدد مجرد تصور للإله، ولهذا لا يمكن أن يكون الدليل إليه مجرد تصورات أخرى[28].

إن شأن التحديدات السابقة أن تكون لدى طالب الفلسفة تحصيلا بيداغوجيا يمكنه من معرفة تهافت أراء الملحدين والمتصوفة الحلوليين من جهة، ومعرفة طبيعة الاستدلالات والحجج التي أثبتها المثبتون لوجود الإله من جهة أخرى، وبهذا يستطيع طالب الفلسفة أن يحكم على بعض المواقف، أو أن يفند بعضها إذا ما هو اختبر حججهم واستدلالاتهم ووضعها على محك الاستدلال العقلي السليم، أو أن يناقش بعض الآراء والمواقف التي تثبت وجود الإله إذا ما هو وجد وجه الحاجة إلى ذلك باستناده على تبريرات واستدلالات تقتضيها طبيعة المقام المستدل فيه دون غيره.

لقد كان هدف هذا البحث هو معرفة الإسهامات التربوية والتعليمية التي أضافها الدكتور "محمود يعقوبي" في مجال الدرس الفلسفي من خلال سلسلة مؤلفه "خلاصة الميتافيزياء"، وكذا تداعيات وامتدادات هذه الإسهامات على مسار التحصيل التربوي والتعليمي لطالب الفلسفة، ولكن نركز في هذا الاستنتاج على الروح الفلسفية التي يتمتع بها "محمود يعقوبي"، فهو حين يتناول بالتحليل طبيعة الأجسام مثلا يذهب في البحث عن الحقيقة إلى أقصى مداها، فهو لا يتوقف عند الظاهرة كما تمده بها الحواس، بل يسعى إلى بلوغ ماهيتها، حيث يقول "والمراد الآن هو تحديد الجسم في ماهيته أي تحديد المبادئ المكونة له والتي هو بها لا هو الجسم المعين أو ذك، بل مجرد الجسم على الإطلاق"[29]، أما حين تتوغل في خلاصة الميتافيزياء بالقراءة وتتمعن فيها فتشدك الدقة والوضوح والاستقصاء وشدة الانتباه، لأن الذي لا يتتبع المشكلات بحسب ترابطها ولا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمعن في معرفة جميع حلقاتها تأتي تصوراته أو تفسيراته ناقصة، بيد أننا التمسنا في كتاب الخلاصة تلك الجرأة العقلية على اقتحام موضوعات متعددة في مجال العلوم الإنسانية.

فهو حين يتناول الفيزياء النووية المعاصرة ويتحدث عن الالكترونات والبوزيترونات والنيترونات والفوتونات وإمكان تحولها إلى الكترونات، ثم في تناوله كذلك لنظرية الكوانتى وحركة الإلكترون حول النوات وعدد دوراته الملياري الذي يرد إليه الإشعاع النووي، ثم عن تفكيك النواة بأشعة "غاما" فإننا نجده يحلل المشكلة كما تناولها المفكرون والفلاسفة ويقدم موقفه ويحلل شارحا حججهم ويفرض عليها ترتيبا بشكل منطقي بحيث تهيئ الحجة الأولى للثانية، ثم يناقش كل منها مبينا صحيحها من فأسدها ومبديا موقفه في ذلك معيدا بناءها وتركيبها، وبهذا يكون التحليل والتركيب قد وجدا لهما مكانا في كتابه، لأن الذي "لا يرى وراء الأشياء العناصر التي تتكون منها وإمكان أن توجد هذه العناصر في صورة أشياء أخرى لا يمكنه أن يستشف رابطة العلية المحايثة لتكون الأشياء وفسادها اللذين تريد الفلسفة تفسيرهما وفهم الغاية منهما"[30].

يبين المؤلف حقيقة وماهية المعرفة الممكنة مقارنة بالمعرفة العلمية الواقعة فعلا في معرفة الإنسان والحاجة إليها لتلبية الرغبة والفضول المعرفي قائلا "تبدو لنا المعرفة الممكنة معرفة مغايرة للمعرفة العلمية التي هي معرفة ضرورة، كما أنها ليست معرفة مناقضة للمعرفة العلمية، لأن العلم لا يستطيع تكذيبها وبالتالي فهي ليست مستحيلة وهي في جميع الأحوال رؤية العقل الحر لماهيات ولعلل لا يتصورها العلم وحركة للعقل الذي يتحرك من تلقاء نفسه لكي يبلغ كل مداه ويبذل من الجهد أقصاه ويصل من العرفان البشري إلى منتهاه"[31]، وهكذا يختم مؤلف "سلسلة خلاصة الميتافيزياء" بإيجاز بليغ مبينا ضرورة المبحث الميتافيزيقي وأهميته سواء لطالب الفلسفة المتعلم أو للإنسان الباحث المتشغف لإرضاء فضوله المعرفي مفندا في ذلك الدعوى التي تقزم مبحث الميتافيزياء أي "المعرفة الممكنة" أمام المعارف العلمية أي "المعرفة الضرورية".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوامش:

---

[1] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء، كتاب "فلسفة المعرفة"، درا الكتاب الحديث، د .ط، الجزائر، 2002، ص3.

[2] – المصدر نفسه، ص4.

[3] – المصدر نفسه، ص5.

[4] – محمود يعقوبي، "أصول الخطاب الفلسفي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص23.

[5] – المصدر نفسه، ص35.

[6] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء، "كتاب "فلسفة المعرفة"، ص11.

[7] – محمود يعقوبي، "أصول الخطاب الفلسفي"ص44، نقلا عن " تهافت التهافت" لابن رشد، طبعة موريس، ج م ت 1930، بيروت، ص182.

[8] – المصدر نفسه، ص82.

[9] – المصدر نفسه، ص18.

[10] – محمود يعقوبي، "أصول الخطاب الفلسفي"، مصدر سابق، ص146.

[11] – محمود فهمي زيدان، "مناهج البحث الفلسفي"، دار الوفاء، ط$_1$،الإسكندرية،2004، ص17.

[12] – يعقوبي محمود، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة طبيعة"، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2002، ص10.

[13]– المصدر نفسه، ص14.

[14] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة الوجود"، مصدر سابق، ص5.

[15] – المصدر نفسه، ص8 إلى ص19.

[16] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب فلسفة الوجود"، ص22.

[17] – المصدر نفسه، ص27.

[18] – المصدر نفسه، ص26، ص27.

[19] – المصدر نفسه، ص 21 إلى ص30.

[20] – المصدر نفسه، ص 33 إلى ص35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[21] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة الوجود"، ص39، ص40.

[22] – المصدر نفسه، ص40.

[23] – المصدر نفسه، ص40.

[24] – المصدر نفسه، ص80.

[25] – المصدر نفسه، ص80.

[26] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة الألوهية"، ص8.

[27] – المصدر نفسه، ص26.

[28] – المصدر نفسه، ص38.

[29] – محمود يعقوبي، "أصول الخطاب الفلسفي"، مصدر سابق، ص146.

[30] – المصدر نفسه، ص14.

[31] – محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة الألوهية"، مصدر سابق، ص80.

المصادر والمراجع:

1- ابن رشد، "تهافت التهافت"، طبعة موريس، ج م ت، بيروت.

2- محمود فهمي زيدان، "مناهج البحث الفلسفي"، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2004.

3- محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء، كتاب "فلسفة المعرفة"، درا الكتاب الحديث، د.ط، الجزائر، 2002.

4- محمود يعقوبي، "خلاصة الميتافيزياء، كتاب "فلسفة الوجود"، درا الكتاب الحديث، د.ط، الجزائر، 2002.

5- محمود يعقوبي، "أصول الخطاب الفلسفي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

6- يعقوبي محمود، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة الألوهية"، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2002.

7- يعقوبي محمود، "خلاصة الميتافيزياء"، كتاب "فلسفة طبيعة"، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2002.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com